(٣)

حديث مع مواطن معروف جدًا*

كلنا نتحدث عن العامل الحرفى المستقل: السباك، والنجار، والمبلط، والميكانيكى. ومن إليهم . كلنا نستكثر عليهم الأرباح والأجور. ولكن هل فكرت فى أن تجلس إلى واحد من هؤلاء وتتحدث معه كصديق أو مواطن؟

أعتقد أن الكثيرين منا لا يتبينون خطورة الانفجار السكانى الذى نعانيه فى مصر الآن. كلنا - والمسئولون على رأسنا - سلمنا بأنها كارثة حلت بنا ولا نستطيع حيالها شيئًا.

ولا نملك إلا أن ندعها تسير كما هى، وليكن ما يكون.

ومن ثلاثة أسابيع رأيت بعينى رأسى هول الكارثة: مررنا بمولد فى إمبابة. وأردت أن أجوس خلال الناس لأشاركهم احتفالهم بمولد شيخهم، فما كدت أدخل فى الجمع حتى وجدتنى وسط بحر متلاطم- حرفيا - من العيال. لم أر امرأة واحدة ألا تحمل على كتفها طفلا وتجر بيدها طفلا. وثالثا يتشبث بجلبابها. وخلف النسوان والعيال يسير الرجال. كلهم يضحكون كأنهم - أو لأنهم - بلهاء، والواحد منهم لا يكف عن إعطاء امرأته أطرافا من المال لتشترى للعيال بطاطة أو ترمس أو سندويتش، والأطفال كأنهم ماكينات تقضم وتمضغ وتبلع وتطلب المزيد.

وآخذ مكانا فى مقهى ليس فيه شىء محترم، وإلى جانبى تجلس على الأرض امرأتان يحوم حولهما نحو سبعة من العيال، وإحدى المرأتين أتت معها بحلة محشى، والأسرتان ضربتا أيديهما فى الطعام وحلة المحشى أصبحت فراغا والأولاد يأكلون فى نهم، والنساء يتسابقن فى الأكل

---

* نشرت هذه المقالة فى ٢٦ أكتوبر ١٩٨٦م .

ويناولن الرجال، وحلة كأنها طست اختفت فى دقائق. والمنظر لم يكن فيه شيء من النظافة أو الإنسانية، فهذه جماعة يخيل إليك أنها ليست من مصر- ولا أى بلد ربع محترم. إنهم غيلان. وبحسب تقديرى هذه الجماعة تستهلك اليوم طعاما يكفى عشرين إنسانا.

ومن أين يأتى هذا الطعام؟ من خارج مصر قطعا. فنحن من زمن طويل نستدين أو نتسول لنأكل، وإذا كنت أنت يا أخى القارئ لا تزيد على كفايتك فإن أولئك الناس لا حدود عندهم فى الطعام، وأولادهم كما ترى كثيرون جدا، وواحد من الرجال يجلس على كرسى غير بعيد منى، ويأخذ ورقة من على الأرض ينظف بها يديه وفمه ويقول لامرأته:

تمشوا أنتم فى المولد وأنا انتظركم هنا، ويناول امرأته نقودا للمراجيح والألعاب وربما لمزيد من الطعام.

- هذه الأسرة الكريمة أسرتك؟

- كريمة؟ هل هذه عيلة كريمة؟ هذه المرأة وأمها وستة أطفال كأنهم الوحوش، وحضرتها حبلى!

تصدق بالله يا أخ؟ إننى أكسب فى اليوم ما بين ثلاثين وخمسين جنيها - محسوبك مقاول صحى - وكل هذا يضيع فى الأكل والملبس، هذا مع علمك بإننا ندفع جنيهين ونصفا فقط فى السكن.

- ألا تعمل شيئا للحد من ذلك النسل؟

- وماذا أعمل إذا كانت الحرمة وأمها تريدان ذلك. وأخى سيد عنده تسعة أولاد. ودى حاجة بتاعة ربنا. والعيال دوشة ووجع دماغ ولكنهم أيضا نعمة، وما دام ربك يرزق.فهى ماشية. واحنا ساكنين فى حارة برعى

هنا إلى جوار نادى بنك مصر، وفى حارتنا مالا يقل عن خمسمائة عيل. وكل هؤلاء فى حاجة لمدارس وهدوم وأكل.

– كم رغيفا تأكلون فى اليوم ؟

– نحن لا نأكل خبز الحكومة، فهذا لا يؤكل. ولكننا نأكل من الخبز المتاز. والرغيف بعشرة قروش. تستطيع أن تقول إننا نأكل خبزا بجنهين. هذا إلى جانب الأرز والمكرونة واللحم والخضار. ثلاثون جنيها على الأقل تضيع فى الأكل كل يوم. هذا مع علمك بأننى أتغدى فى الظهر مع الصنايعية بتوعى فى الشغل.

– هل عندكم ثلاجة؟

– طبعا. ثلاجة وتليفزيون.

– ألم تحاول إيقاف النسل.

– حاولت وحياتك أكثر من عشرين مرة، لكن الحرمة لا تريد إلا العيال. كل يوم يتكلمون فى التليفزيون عن تنظيم النسل ولا فائدة. لأن النسوان عاوزة الأولاد، وأنا من رأيى أن حكاية النسل هذه لابد أن تعالج مع النسوان، هى سبب البلوى كلها. أنا شخصيا لا أريد أكثر من ثلاثة أولاد على الأكثر. بودى أن أعلم أولادى تعليمًا صحيحًا ولكننى لا أستطيع. الأمهات يفسدن الأولاد ويغرينهم بالتمرد على الآباء. وأخى بينه وبين ولديه الكبيرين مشاكل بلا نهاية. والولد الكبير إبنى فسد ولا أستطيع إصلاحه، إنه لا يريد أن يعود. أقول لك الحق يا أخ: الحكومة تهمل العمال. نحن طبقة محترمة ونحن فى حاجة إلى عناية ورعاية. ونحن لسنا فى حاجة إلى الأشياء المجانية التى تقدمها الحكومة لنا. ولا أحد يفهمنا أو يصغى لنا يقولون إننا نكسب كثيرا. وهذا صحيح والحمد لله ألف حمد. ولكننا كما ترى. فقراء رغم الكسب الكثير، وبيتى خرابة وأنا عاجز فى بيتى أمام الحرمة وأمها والأولاد. وأنت ماذا تعمل.

– مدرس

– وكم أبنا عندك!

– بنت ولد.

– هكذا يستطيع الإنسان أن يعيش. طبعا تعطى دروسا خصوصية.

– قليل جدا، لا أعطى أكثر من درسين فى اليوم.

– فسكت قليلا ثم قال:

– اسمع يا حضرة . سأقول لك شيئا لا تعرفونه أنتم الذين تعتبرون أنفسكم المتنورين. نحن متنورون مثلكم. ربما أكثر ولا مؤاخذة، وأكبر دليل على هذا أننا نكسب أضعاف ما تكسبون.

– هذا واضح وأنا شخصيا أرى أن أى فنى يدوى أفضل لهذا البلد من عشرة كتبة على مكاتب، وحكاية الأفندى والعامل هذه مسالة قديمة انتهى أوانها باختفاء الطربوش، وقد كنا فى الماضى نقول إن الأفندية أكثر فهما واهتماما بشئون البلد. ولكن تطور الأحوال لم يدع للأفندية وفيهم خريجو الجامعات وقتا ولا قدرة على العناية بشئون البلد، فهم مساكين تعساء ويلهثون وراء لقمة العيش.

فأشعل سيجارة ونظر إلى وقال: يبدو يا حضرة أنك رجل فهيم. وأرجو أن تسمح لى بأن أطلب لك قهوة.

– أنا لا أشرب هنا شيئا فهذا مولد والفنجان ينتقل من فم إلى فم دون غسيل تقريبا وأنا لست ناقصا عدوى.

– إذن ما رأيك فى أن نذهب إلى بيتى؟ إنه على خطوتين من هنا وأنا أعمل لك القهوة بنفسى فأنا لا أريد أن آخذ الحرمة والأولاد إلى البيت الآن فالحقيقة هى أن لدى مشكلة أريد أن أعرضها على رجل فهيم مثلك:

– هذا يسرنى.

والحق أنه سرنى أن أذهب إلى بيت هذا السباك. فأنا من زمن طويل أريد أن أرى بنفسى اثر الكسب الكثير على أسلوب حياة أولئك الناس.

□□□

يقع البيت فى حارة ضيقة مقبضة لم أصل إلى باب البيت إلا متكئا على ذراع صاحبى بسبب فيض المجارى.. وسط المجارى أولاد كثيرون يلعبون ورجل يبيع حلوى، السلم محطم ولابد لك من الحذر الشديد لكى تصل إلى الدور الأول بسلام، الدور الرضى وهو دور المدخل يسكنه فران هو أخو صاحبى السباك، هذا الفران أنشأ فرنا يشوى السمك السمكة المشوية بتسعة جنيهات والطلبات بالعشرات استرحت لرائحة السمك المشوى لأنها تضيع رائحة المجارى، دخل هذا الرجل فى اليوم حوالى ٢٠٠ جنيه، وربحه يصل إلى سبعين جنيها أول ما فتح صاحبى باب شقته انشرح صدرى فقد كانت هناك صالة واسعة منيرة، وجدنا هناك كنبة فوقها على الحائط - آية قرانية كريمة مبروزة بشكل جميل. عرفت بعد ذلك أن الشقة كلها تتكون من هذه الصالة وغرفتين صغيرتين للنوم وحمام متر فى نصف ومطبخ مظلم متر فى متر.

عمل الرجل القهوة ثم جلس إلى.. كان يريد أن يستشيرنى فى أمر ولده الكبير إبراهيم الذى لا يريد أن يدرس أو يعمل بل يريد أن يكون مغنيا فى ملاهى شارع الهرم، لقد تعب معه الأب ولا يدرى ماذا يفعل؟ فالولد - كما تبينت فيما بعد - فسد تماما فهو يدخن ويسكر ويقضى الليالى خارج البيت، وعدته بأن أنظر فى الأمر إذا اتيحت لى الفرصة للقاء إبراهيم، من حسن الحظ أن إبراهيم لم يأت تلك الليلة. أما أنا فكنت أريد أن أعرف كيف يعيش أولئك الناس؟ وكيف يفكرون؟ فسالت الرجل عن مشكلة طابا.

فنظر إلى لحظات ثم قال: كل يوم يدوشوننا بحكاية طابا والحكومة لا عمل لها إلا الكلام الفارغ.

– ولكن هذا ليس كلاما فارغا يا عم صبحى، إن طابا جزء من أراضى الوطن.

– فهمنا ولكنها شغل الحكومة وليست شغلنا، نحن عمال وهم وزراء، ولكل منا عمله. إننا نعيش فى مقبرة يا حضرة ومن يعيش عشتنا لا يطالب بالتفكير فى مسألة مثل هذه.

– ولكنكم أنتم الذين تجعلون شارعكم مقبرة. معقول هذا يا باشمهندس صبحى: أنت تكسب حوالى سبعين جنيها فى اليوم، وكذلك أخوك ثم يكون هذا منظر شارعكم.

– العيال يا حضرة.. الأولاد، والعيال والنسوان يأكلون الحجر، والحكومة وراءنا بالضرائب يريدون أن يحاسبونى على أربعة آلاف جنيه دخل فى السنة، معقول هذا يا حضرة؟ وأنت كم تريد. أن تدفع؟

– ولا حاجة!

– معقول هذا يا عم صبحى؟ ولا مليم للحكومة؟ وكيف تريد أن تسير الحكومة أمورها أظن أنه لا يخفى عليك أن عليها مصاريف ضخمة.

– هذا ليس شأننا يا أخى، إنهم لا ينفقون علينا نحن شيئا، أمامك شارعنا فانظر إليه، وقل لى إن كان هذا شارع آدميين أم فئران، إن للدولة هنا نحو خمسين مكتبا ملأى بالموظفين، ولكن أحدا منهم لا يدرى بوجودنا، وقد ذهبنا إليهم عشرات المرات وفى كل مرة يقولون لنا: أسبوعان ولا زيادة لقد وصلت الماكينات وحصلنا على اعتمادات التركيب وخلال ١٥ يوما سترون كيف يصبح شارعكم جافا ومجاريكم كأحسن مجارى البلد، ومرت على ذلك خمسة عشر شهرا ولا شىء يتم: البهوات هناك ونحن هنا ولا نأخذ منهم غير الكلام وواحد منهم طلب سمكا من أخى فلم نعطه شيئا لأنه لا يساوى ذيل سمكة، وصناديق الكهرباء مفتحة

وثلاثة أولاد ماتوا، فقمنا نحن بعمل أحزمة معدنية وأقفال للصناديق وأقفلناها وأتى مندوب الكهرباء ومعه عسكريان لتحطيم الأقفال فهددناهم بالضرب إذا هم مسوا الأقفال فذهبوا وعادوا مع ضابط بوليس وهذا الرجل كان عاقلا ذكيا أدرك فى الحال أننا على حق. فطلب إلينا أن نودع مفاتيح الأقفال عند رئيس الحى فرفضنا، وقلنا إنها كلها هنا مع أخى زكى الفران، وهم يستطيعون الحصول عليها إذا أرادوا: ووافقوا وبعد ذلك أتانا موظف محفظ يقول إنه مدير مكتب، وطلب سمكة نظير تدخله، فقلت له: السمكة بعشرة جنيهات تدفعها تحصل عليها، وإلا فامض لشأنك فدفع الجنيهات العشرة أخذها من المقاول الذى يبنى البيت الذى تراه من النافذة، الاثنان حرامية ثم تريد أن أدفع لهم ضرائب؟

– ادفع بالحق. حاسبهم بالمعروف وادفع ما عليك لكى تستريح من دوشة الدماغ.

(أنا اريد دوشة الدماغ، وهذا هو سبيل التعامل الوحيد مع أولئك الناس. الواحد منهم مرتبه على الورق ستون جنيها ولكنه لا يتحصل على أقل من مائتين فى الشهر. وأنا أقول لك ذلك على علم ولأن الفراش الذى يحمل أذونات الصرف للتوقيع يسكن معنا هنا. وهو يعرف من بلاوى أولئك الناس ما يدهشك لو سمعته يتكلم.. إن المقاول الذى يبنى البيت الذى تراه يبنى بدون ترخيص،. لقد وصل الآن إلى سبعة أدوار وإن شاء الله سينهار عليه وعلينا. نحن سمك فى بحر يا أستاذ ولا يعرف مدى شقائنا إلا خالقنا.

– إننى أرى أنك رجل لبيب عاقل، وقد فهمت أن أخاك الفران كذلك، فلماذا لا تتعاونون – أهل الشارع أقصد – فى العناية بشارعكم؟

– حاولنا أكثر من مرة، ولكن أصحابنا الموظفين، لأنهم يعملون مع أصحاب البيوت. وأصحاب البيوت يريدون أن تتهدم كل البيوت لكى

تخلص لهم الأرض هل تصدق، إن بيتنا هذا ملك بنك كبير؟ صاحبة البيت الأولى استدانت ورهنت البيت للبنك، ثم فشلت فى زيجتها واضطربت أمورها وماتت، والبنك وضع يده على البيت ودخل أولادها فى قضايا مع البنك، وها نحن أولاء ضائعون. إننا ندفع الإيجار للبنك حتى يفصل القضاء فى النزاع.

– وأولادك هل تعلمهم؟

– الأكبر فسد كما قلت لك ولا أمل فيه. فأخذت الثانى والثالث معى فى العمل بعد الابتدائية لكى أعلمهم صنعة يعيشون منها. والبنتان هدى ونورا فى الإعدادية والاثنان الباقيان مازالا طفلين وبسلامتها ستأتينا بسابع.

– أظن أن فى هذا كفاية.

– إن السيدة حرمى تخشى أن أطلقها أو أتزوج عليها.

– وهل هى تظن أن الأولاد يمنعوننى إذا أردت؟ إننى لا أفعل لأننى لا أريد. وأقول لك الحق إن الذى يمنعنى هما البنتان: هدى ونورا. إنهما بنات حلال ويدرسان باهتمام، وعن قريب تأتيك وسترى حضرتك أنهما يستأهلان كل محبة الاثنتان تريدان دخول مدرسة التمريض بعد الإعدادية، وأنا سعيد بذلك، فإلى جوارنا هنا تسكن شابة تسمى بثينة، وهى تعمل كبيرة الممرضات فى قسم كبير من مستشفى عظيم، ودخلها فى الشهر لا يقل عن أربعمائة جنيه. إنها بنت حلوة وقد أعجب بها طبيب وسيتزوجها وأرجو الله لبناتى مثل هذا المصير.

قلت: إلى الآن لم أعرف اسمك: قال صبحى العزاوى.

– يدهشنى يا أخ صبحى أن تكون بهذا العقل ولم تفتتح لنفسك دكانا بعد. إن الطموح من ميزات الإنسان الكبرى، فكيف لا تطمح نفسك إلى سكن أحسن من هذا أو كيف لا تريد أن يكون لك دكان محترم؟

– السبب الأول كثرة العيال فإن أى مسكن فى الدنيا سيتحول إلى خرابة إذا سكنت فيه امرأتى وأمها وسبعة أطفال.. إن نسواننا شياطين يا أخى. وهن يحرضن الأولاد علينا، والذى يعجبنى فى هدى ونورا هو أنهما عاقلتان ولا تستمعان إلى هذه الأم، لقد رأيت حضرتك كيف تنفق النقود فى المولد فى الفاضى والمليان. لأن نظريتها هى تجريدى من المال أولا بأول، وربما استطعت التفاهم معها. ولكن أمها بلوة. مات زوجها فحطت علينا كالقضاء العاجل، وهى شيطان وراء امرأتى ولا أستطيع أن ألقى بها فى الطريق.

وأشعل سيجارة وصمت، فعدت أقول:

– يا أوسطى صبحى، هناك سؤال يدور فى ذهنى وأرجو أن تأذن لى فى أن ألقيه عليك. لا تجب عنه إذا كنت لا تريد.

– وما هو هذا السؤال يا ترى؟

– لقد عرفت رأيك فى موظفى الحكومة وموقفك من حكاية الضرائب، فالآن أريد أن تقول لى: ما رأيك فى رجل مثلى– مدرس – اسمع يا أخى: إنكم تبالغون فى تقدير أرباحنا وتستكثرون علينا المكسب. ولا حديث لكم إلا أجر السباك ومكسب النجار أو البلط، إذن فاعلم أن رأينا فيكم – معشر المدرسين – أسوأ من ذلك. ولو عرفت ماذا يفعلون فى مسائل الدروس! خمسة جنيهات فى الساعة فصاعدا، وليتهم مع ذلك يعلمون الأولاد شيئا. لهذا أنا لا أريد لأولادى أن يستمروا فى الدراسة: الإعدادية ثم السباكة. هذا طريق معقول جدا للحياة، وأنت ترى أن أيامنا هذه أيام معمار، والزباين على قفا من يشيل. ونحن نأخذ ما نطلب. وأنا سباك محترم لأن أبى علمنى الصنعة وسأعلمها لأولادى لكى يستقلوا عن الحكومة ويعيشوا ملوكا. لقد حدثتنى عن الطموح وعن شقة محترمة هذا فى نيتى، ولكن قل لى: كيف أدخر النقود؟

– فى البنك.

– بعد تجربتى مع البنك الذى يحارب فى سبيل خرابه كهذه التى نحن فيها لا يطمئن قلبى للبنوك.. تصور يا أخى أن محاميا من البنك أتانى هنا ليعرض على وعلى أخى رشوة لكى نترك البيت وليته كان يتحدث باسم البنك، بل كان يريد أن يشترى البيت لحساب مقاول يعمل معه فى الباطن. إن قلبى لا يطمئن على نقودى عند أولئك الناس!

هناك يا أخى بنوك وبنوك وأنا كما ترى لست موسرا، ولكنى أتعامل مع بنك محترم جدا إن فى مصر يا أخى أربعة بنوك من المؤكد أنها محترمة ومأمونة جدا هى: (وذكرتها له) فتعامل مع واحد من هذه ولا تخف وبادر بالادخار لكى تشترى شقة تنعم فيها بحياتك إننى أرى بيتك ولا مؤاخذة لا يرقى إلى مقامك والأثاث الذى آراه قليل وهالك، والدنيا تغيرت وهناك أشياء أخرى جميلة جدا غير التليفزيون والثلاجة.

– فعلا وأريد أن أشترى سيارة.

– دعك من السيارة فهى من متاعب هذا العصر، وغذا كان ولابد فاشتر موتوسيكلا، ولكن أهم شىء هو نوع الشقة التى تشتريها، ثم الأثاث الذى تضعه فيها.

فنظر إلى طويلا ثم قال:

– تصدق بالله إنك أول رجل متعلم معقول أقابله، إخواننا من أمثالك لا يحتملون.. لا يمكن التفاهم مع محام أو طبيب أو مهندس.. كلهم ينظرون إلى السباك والعامل عموما من أعلى كأنهم من طينة غير الطينة، ولهذا فنحن نأخذ منهم كل ما نستطيع، هنا فى الشارع الكبير محام كأنه منشار، استدعانى لتغيير حمامه، فأخذت منه كل ما استطعت لأنه ظالم وجبار ومنفوخ ويستحق الضرب، عملت له شغلا محترما ولكنى أخذت

منه كل ما أردت، لأنه يتعاون مع المقاول الذى يبنى العمارة إلى جوارنا ويشتركان فى كل المصائب، وقد رشح نفسه للبرلمان وظهر اسمه فى القائمة فاتفقنا جميعا على ألا ننتخبه ولم ننتخبه، ولكنه نجح لا أدرى كيف، وهو اليوم عضو مجلس الشعب ولا يدرى أحد من يمثل.. إننا نحن لا نعرفه ولا نحبه ولا نثق فيه، وهو يعاملنا بالمثل، وأخى زكى الفران يقرأ الجريدة ويقرأ أخبار مجلس الشعب ويقول إنه لم ير اسم أخينا مرة واحدة.. لقد توظف ابنه فى مجلس إدارة أحد البنوك، فزاد هذا من نفورى من البنوك على فكرة إننى أسمعهم فى التليفزيون يتحدثون عن الشعب، فماذا يريدون بقولهم إننا شعب واحد إذا كنا نصفنا يأكل النصف الآخر؟

قلت ألا تحس بأى رابطة تربطنى إليك؟

قال ماذا تعنى؟

– أعنى أننى أشعر وأنا أتحدث إليك إننى أخوك فى هذا الوطن، وأننى مسئول عنك إذا أتى ابنك الآن مثلا فإننى أشعر أننى لابد أن أحاول إصلاح أمره، وأنا مستعد لتخصيص وقت له فى بيتى إذا احتاج الأمر، فهل إذا كانت عندى حنفية مكسورة ولا نقود معى فهل تأتى وتصلحها لى دون مقابل على اعتبار أنك تقدم خدمة لمواطن.. لأخ لك فى الوطن.

– ذلك متوقف على وقتى فأنا رجل مطلوب جدا ووقتى غال، ولست مستعدا لأن أفضلك على رجل يدفع فلوسا إننى لست غنيا وأولادى كثيرون، ولابد أن أكسب كثيرا لكى أستطيع السير بحملى، ثم إن أحدا منكم لا يخدمنى، لا أذكر أن أفنديا قدم لى أصغر خدمة لوجه الله، مستشفيات الحكومة تعاملنا معاملة الكلاب، لأننا لا ندفع، وفى العام

الماضى أخذت بنتى هدى درسا خاصا فى اللغة الإنجليزية والمدرس لم يتنازل قط عن خمسة جنيهات فى الساعة والدفع مقدما. صدقنى هذه أول مرة أتحدث فيها فى بيتى مع رجل مثلك، لأننا يا سيدى لا نعرفكم وأنتم لا تعرفوننا.

قلت الحمد لله على أننا تفاهمنا، إن التفاهم بين المواطنين أساس الوطنية، ومن الآن تستطيع أن تعتبرنى صديقا.. بهذه المناسبة، فى نفسى سؤال أريد أن أوجهه لك.

– هات سؤالك.

– عل أى أساس تقدر أتعابك؟ إن هذا أمر يحيرنى. فما من مرة استدعيت سباكا إلا تحيرت فى مسألة الأتعاب التى سيطلبها..

– إننى أقدر احتياجاتى ياحضرة أنت ترى أن مصاريفى بلا نهاية، وأنا رجل عندى نظر، وأنا عندى اثنان من الصنايعية، الواحد منهما يتقاضى ثمانية جنيهات فى اليوم. فأنا أضع عليها ما بين ثلاثين وأربعين غير الأدوات التى سأقوم بتركيبها.. يعنى إذا كانت العملية تكلفنى يوم شغل طلبت فيها ستين جنيها بالإضافة إلى أثمان ما أشتريه، ونحن يا محترم لسنا لصوصا، نحن مثل كل الناس فى أيامنا هذه، إلى جوارنا هنا يسكن شيخ مقرئ يسمى الشيخ خضر المحلاوى، إنه شيخ عادى جدا، وهو يقرأ فى الليلة بألف وخمسمائة جنيه تصور، وعندما يتسأهل يجعلها ألفا، فلماذا تضعون السباك فوق رءوسكم وتزعقون؟

□□□

ثم عادت أسرة الرجل من المولد الزوجة أتت معها بعشرة ساندويتشات كفتة للعشاء، دفعت فى ذلك اثنى عشر جنيها، وقالت فى غير اكتراث يا الله يا أولاد.. العشاء.. والأولاد جلسوا على الأرض ومضوا يأكلون

ويتصايحون، والرجل ناولنى ساندويتشا فأخذته تأديا وفتحته وأخرجت البقدونس ومضيت آكل فى صمت والضجيج من حولى يصم الآذان فتحوا التليفزيون وجلسوا كلهم يتفرجون على ما يقدمه هذا الصندوق السحرى، وهمس الرجل فى أذنى. .

ها أنت ترى.. هل كان هناك لزوم لهذه الصندويتشات بعد الأكل الذى أكلوه فى المولد؟ ثم تسألنى إن كنت أدخر شيئا؟ من أين وكيف وهذه المرأة وأولادها ورائى؟ هذا التليفزيون أصلحناه فى الأسبوع الماضى بمائة وخمسين جنيها والأسبوع القادم لابد من شراء ملابس المدارس إن جزمة الولد اليوم بستة جنيهات والحكومة تقول إنها تحارب الغلاء، هى فى الواقع تصنع الغلاء، وشركة الكهرباء تتقاضانا ثلاثين جنيها فى الشهر هل هذا معقول؟ ونصف أيام الأسبوع لا نجد الماء ونشترى الصفيحة بعشرة قروش، والناس كلهم عيونهم على السباك، وها هو ذا السباك أمامك، والولد الكبير راح ولن يعيده لى أحد، وأمه تفسده، كل يومين يأتى ويأخذ خمسة جنيهات ويغير ملابسه ويجرى على حل شعره؟ ونحن نكسب يا أخى، ولكننا ضائعون، حياتنا هباء، ولا أحد يحسن بنا، كل ما نراه من الناس هو الحسد، واللعنات هل يعجبك هذا الحال هل تأتى لتزورنى مرة أخرى؟ لا أظن نحن فى دنيا وأنتم فى دنيا، قم حتى أوصلك إلى الشارع الكبير لتعود إلى بيتك على فكرة ما اسمك؟!